

تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم به عليه من الهدایة إلى صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف { ديناً فيما } أي قائمًا ثابتًا { ملةً إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين } قوله { ومن يراغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه } قوله { وجاحدوا في الله حق جهاده هو اجتباككم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبیکم إبراهيم } قوله { إن إبراهيم كان أمة قانتاً حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين } وليس يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً وأكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم على الإطلاق وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام .

وقد قال ابن مردویه : حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو داود الطیالسی حدثنا شعبة أنساناً سلماً بن كهيل سمعت ذر بن عبد الله الهمداني يحدث عن ابن أبي زی عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال [أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين] وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أخينا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس [قال ؟ تعالى الله إلى أحب الأديان أي ملة وصلى الله عليه وسلم قيل : قال أنه هما الحنيفية السمحنة] وقال أحمد أيضاً : حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذقني على منكبه لأنظر إلى زفن الحبشة حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه قال عبد الرحمن عن أبيه قال : قال لي عروة إن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ [لتعلم يهود أن في ديننا فسحة إنني أرسلت بحنيفية سمحنة] أصل الحديث مخرج في الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها في شرح البخاري وصحاح الحمد والمنة قوله تعالى { قل إن صلاتي ونسكي ومحبتي ومما تي الله رب العالمين } يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته نسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا قوله تعالى { فصل لربك وانحر } أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه

والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص ॥ تعالى قال مجاهد في قوله { إن صلاتي ونسكي } النسك الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير { ونسكي } قال ذبحي وكذا قال السدي والضحاك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبي حدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله قال : ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد النحر بكبشين وقال حين ذبحهما [وجهت وجهي للذبي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحبتي ومما تي ॥ رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين] قوله ۝ { وأنا أول المسلمين } قال قتادة : أي من هذه الأمة وهو كما قال فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام وأصله عبادة الله وحده لا شريك له كما قال { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه { فإن توليتكم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين } وقال تعالى { ومن يرحب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنية ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون } وقال يوسف عليه السلام { رب قد آتتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولبي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين } وقال موسى { يا قوم إن كنتم آمنتم بما فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الطالبين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين } وقال تعالى { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار } الآية وقال تعالى { وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وشهد بأننا مسلمون } فأخبر تعالى أنه بعث رسلاه بالإسلام ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً إلى أن نسخت بشرعية محمد صلى الله عليه وسلم التي لا تنسخ أبداً الابدين ولا تزال قائمة منصورة وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام [نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد] فإن أولاد العلات هم الإخوة من أب واحد وأمهات شتى فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات كما أن إخوة الأخيار عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى والإخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزير بن عبد الله الماجشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ثم قال : [وجهت وجهي للذبي فطر السموات والأرض حنيفا

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِي وَمَمَاتِي لَرَبِّ الْعَالَمِينَ [اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلِمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذَنْبَنِي جَمِيعًا لَا يَغْفِرُ
الذَّنْبُ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرَفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرُفُ عَنِّي
سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ تَبَارِكْتُ وَتَعَالَيْتُ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ] ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامُ الْحَدِيثِ فِيمَا يَقُولُهُ فِي
الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتَّشْهِيدِ وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ